الفصل الأول

أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

١ ـ مبايعته وفضائله.

٢ ـ عدله واهتمامه برعيّته.

٣ ـ وصاياه للعمّال وخُطَبه.

٤ ـ علمه.

٥ ـ استشارة أبو بكر رضي اللّه عنه الصحابة.

٦ ـ أقضيته.

obeikandl.com

obeikandl.com

خليفـة رسـول اللَّه ﷺ
أبو بكر الصدّيق رضي اللَّه عنه

١ ـ مبايعته وفضائله:

تولّى أبو بكر رضي اللَّه عنه قيادة المسلمين وسياسة أمورهم بعد رسول اللَّه ﷺ باختيار المسلمين ورضاهم. لم يبعثه اللَّه تعالى خليفة عليهم كما بعث محمّداً ﷺ رسولاً إليهم، ولم يجعل له فضلاً على أحدٍ منهم إلَّا بالتقوى. وهو لم يكن يرى لنفسه حقّاً في حكم المسلمين إلَّا في حدود كتاب اللَّه وسُنّة رسوله. وذلك قوله رضي اللَّه عنه حين خَطَبَ الناس يوم بيعتِهِ: «أطيعوني ما أطعتُ اللَّه فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»[١].

قال المسعودي: ثم بايع الناس أبا بكر الصدّيق رضي اللَّه تعالى عنه، في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول اللَّه ﷺ[٢].

أخرج ابن سعد عن محمد أنّ أبا بكر قال لعمر: ابسط يدك لأبايعك، فقال له عمر: أنت أفضل منّي، فقال أبو بكر: أنت أقوى منّي، ثم كرر ذلك، فقال عمر: فإن قوتي لك مع فضلك، فبايعه[٣].

---

(١) محمد حسنين هيكل، أبو بكر الصدّيق، ص:٣٢٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص:٢٩٧.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص:٦٦.

بويع أبو بكرٍ الصدّيق يوم قُبضَ رسول اللّه ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيعٍ الأول، سنة إحدى عشرةَ من مُهاجرِ رسول اللّه ﷺ[١].

قال المسعودي: وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهِجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، مستَوفياً لعُمْر النبي ﷺ، وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا، وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ودُفِنَ إلى جنب رسول اللّه ﷺ، رأسه على كتف رسول اللّه ﷺ، كذلك قالت عائشة رضي اللّه عنها[٢].

عن ابن شهاب أنّ رجلاً أهدى يوماً لأبي بكر رضي اللّه عنه صحفة من خِزَيرة وعنده رجل يقال له الحارث بن كلدة وعنده علم، فلمّا أكلا منها قال ابن كلدة: فيها سمّ سنة، فوالذي نفسي بيده لم يمر الحول حتى ماتا في يوم واحد رأس السنة[٣].

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: وكان سبب مرضه أنّه اغتسل في يوم بارد، فحمّ خمسة عشر ليلة لم يخرج إلى الصلاة، فكان عمر رضي اللّه عنه يصلي بالناس، وهو في داره التي قطع له رسول اللّه ﷺ[٤].

ومن فضائله في الجاهلية:

عُرف أبو بكر في حداثة سِنِّه وشبابه بالصدق، والأمانة، والجرأة على قول الحقّ.

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمّال، ج٥، ص:٦٠٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص:٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص: ٦٤.

(٤) الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص:٦٣.

وكان أبو بكر وديعاً ليّناً، يحبّ الناس ويحبّونه، ويقدّم لهم اللائق من المعاملة فيحترمونه، لذلك نعتوه بأجمل النّعوت، ووثقوا به، وأوكلوا إليه أمر الديّات مِمّا يشكّل مرتبة قضائيّة مرموقة.

قال النووي: وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، ومحبباً فيهم، ومألفاً لهم. فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول، ولم يزل مترقّياً في معارفه متزايداً في محاسنه حتى توفي[١].

وقال العَسْكَرِيُّ: كانت تُساق إليه الأشناق في الجاهلية، وهي الديّات التي يتحمّلها ممن يتقرّب لذلك من العشيرة، فكان إذا حمل شيئاً من ذلك فسأل فيه قُريشاً مدحوه وأمضوا إليه حمالته؛ فإن احتملها غيره لم يصدقوه[٢].

عن معروف بن خربوذ قال: إنّ أبا بكر الصدّيق رضي اللّه عنه، أحدُ عَشْرٍ من قريش اتصل بِهم شرف الجاهلية والإسلام، فكان إليه أمر الديَّات والغرم، وذلك أنّ قريشاً لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها، فكانت في بني هاشم السقاية، والرفادة. ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلَّا من طعامهم وشرابِهم. وكانت في بني عبد الدار: الحجامة، واللواء، والنَّدْوة ـ أي: لا يدخل البيت أحد إلَّا بإذنِهم، وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار، وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً أو نقضاً لا يكون اجتماعهم إلَّا بدار الندوة، ولا ينفذ إلَّا بِها، وكانت لبني عبد الدار.

أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: واللّه

---

(١) النووي، **تَهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص:١٨٣.

(٢) ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص:١٤٩.

ما قال أبو بكر شِعراً قط في الجاهلية ولا في الإسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.

وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها، قالت: لقد حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية[١].

❑❑❑

ومن الأحاديث الواردة في فضله

أخرج الترمذي والحاكم عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: «قال عمر لأبي بكرٍ: يا خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللّهِ ﷺ؛ فقال أبو بكرٍ: أما إنّكَ إنْ قلتَ ذاكَ فلقد سَمِعت رسول اللّهِ ﷺ يقول: ما طلَعَتِ الشمسُ على رجُلٍ خيرٍ من عُمرَ»[٢].

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: خطبَ النبيُّ ﷺ فقال: «إنَّ اللّه سبحانه خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عِنْدهُ، فاختار ما عند اللّه». فبكى أبو بكرٍ رضي اللّه عنه، فقلتُ في نفسي: ما يُبكي هذا الشيخَ، إنْ يكُنِ اللّه خيَّرَ عبداً بين الدنيا وبينَ ما عِندَهُ فاختارَ ما عند اللّه؟ فكان رسول ﷺ هو العبدُ، وكان أبو بكرٍ أعْلَمنا. فقال: «يا أبا بكرٍ لا تَبكِ، إنَّ أمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً من أمَّتي لاتَّخذتُ أبا بكر، ولكنْ أخُوَّةُ الإسلامِ ومودَّتُهُ. لا يبقيَنَّ في المسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ،

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٣٤، ٣٥.

(٢) سنن الترمذي، أبواب: المناقب، مناقب أبي بكر الصدّيق، ج٥، ص٢٨١، حديث رقم (٣٧٦٧) ـ الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص: ٩٠.

إلَّا بابُ أبي بكرٍ»[١].

أخرج الحاكم عن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن تولوا أبا بكر تجدوه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تولوا عمر تجدوه قوياً أميناً لا تأخذه في اللَّه تعالى لومة لائم، وإن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق»[٢].

وأخرج الحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لقد هممتُ أنْ أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً يعلّمون الناس السننَ والفرائضَ كما بعثَ عيسى ابنُ مريمَ الحواريين»، قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ قال: «إنّه لا غنى بي عنهما، إنّهما مِنَ الدينِ كالسمعِ والبصرِ»[٣].

ومن كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله:

عن جبير بن نفير: أنّ نفراً قالوا لعمر بن الخطاب، رضوان اللَّه عليه: واللَّه ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول بالحقّ، ولا أشدّ على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول اللَّه ﷺ، فقال عوف بن مالك: كذبتم واللَّه لقد رأيت بعد رسول اللَّه ﷺ، قال: من هو؟ قال: أبو بكر رضوان اللَّه عليه، قال عمر: صدق عوف وكذبتم، واللَّه لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضلّ من بعير أهلي[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصلاة،باب: الخوْخَة والمَمَرِّ في المسجد، ج١، ص١٤٩، ١٥٠، حديث رقم (٤٦٦) ـ صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي اللَّه تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصدّيق، ج٤، ص٧٢، حديث رقم ٢ (٢٣٨٢).

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص: ٧٠.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص: ٧٤.

(٤) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر، ص١٤٨.

عن عبد اللّه بن جعفر رضي اللّه عنهما قال: وَلِينا أبو بكر فكان خير خليفة رسول اللّه وأرحمه بنا وأحناه علينا[١].

وقال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر يسمى «الأوّاه» لرأفته[٢].

وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال: كان أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه من النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسول اللّه ﷺ يقدم عليه أحداً[٣].

وإنّ أبي بكر رضي اللّه عنه أول خليفة فَرَض له رعيته العطاء[٤]، عن ميمون بن مهران قال: لما استُخلف أبو بكرٍ جَعلوا له ألفين، فقال: زيدوني، فإنّ لي عيالاً، وقد شغلْتموني عن التجارة، فزادوه خمس مائةٍ[٥].

وهو أوّل مَن اتخذ بيت المال. فقد أخرج ابن سعد: عن سهل بن أبي خيثمة وغيره: أنّ أبا بكر كان له بيت مال بالسُّنْح[٦] ليس يحرسه أحد، فقيل له: ألا تجعل عليه من يحرسه؟ قال: عليه قُفْلٌ، فكان يعطي ما فيه حتى يفرغ، فلما انتقل إلى المدينة حَوَّله فجعله في داره، فقدم عليه مال، فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القَسْم، وكان يشتري الإبل

(١) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص:٧٩.

(٢) ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص:١٤٩.

(٣) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، كتاب: معرفة الصحابة، ج٣، ص:٦٣.

(٤) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص:٧٢.

(٥) المتقي الهندي، **كنز العمّال**، ج٥، ص:٦٠٣.

(٦) السُّنْح: وهي طرف من أطراف المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص:٢٦٥.

والخيل والسلاح فيجعله في سبيل اللَّه، واشترى قطائف أُتيَ بِها من البادية ففرقها في أرامل المدينة، فلَما توفي أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بِهم في بيت مال أبي بكر منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفَّان، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً ولا ديناراً ولا درهماً[١].

كان أبو بكر رضي اللَّه عنه أعلم الصحابة، ولقد كان موقفه عقيب وفاة الرسول ﷺ دليلاً قويّاً على عمق إيمانه باللَّه، وفهمه الكامل لناموس الحياة حتى ولو زاغت أبصار الآخرين، وأثّرت فيهم الخطوب والأحداث.

وكان أبو بكر وديعاً ليّناً، يحبّ الناس ويحبّونه، ويقدّم لهم اللائق من المعاملة فيحترمونه، لذلك نعتوه بأجمل النعوت، ووثقوا به. وإنّ خطبه، وأحكامه، وإجاباته تبيّن إلى حدّ بعيد مقدار عقله، ودقّته، ومدى رجحانه.

غير أنّ أبا بكر المجاهد، البالغ أقصى حدود الثبات على إيمانه، ودعوة رسوله ما كان يتوانى لحظة عن إعلان إرشاده الناس غير مبال بتقاليد قومه التي تحتّم أنْ يحترم المجتمع إجارة الجار، وأن يراعي المستجير ظروف مَنْ أجاره، فالحقّ فوق كل اعتبار.

٢ ـ عدله واهتمامه برعيّته:

من تقاليد الحكم أن يذيع الحاكم خطّته ببيان مفصّل، فقد عمد أبو بكر إلى إلقاء بيانه. فإنّ أول ما يطالعنا في هذا العهد الزاهر ذلك الدستور الرائع الذي افتتح به أبو بكر خلافته مبرزاً النهج الذي سيسير عليه فيما يتعلّق بسياسة الحكم. فقد أعلن أبو بكر رضي اللَّه عنه قيامه برفع الظلم، والتزامه صراحة بمبدأ العدل، وإقامة الحق والعدل على جميع الناس، وذلك في أول

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٧٣.

خطبة له عقب مبايعته.

عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: لَمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: إنّ اللّه قد جمع أمركم على خيركم: صاحب رسول اللّه وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلّم أبو بكر فحمد اللّه وأثنَى عليه، ثم قال: «أمّا بعد أيّها الناس، فإنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني، الصدقُ أمانة، والكذبُ خيانة، والضعيفُ فيكم قويٌ عندي حتى أريحَ عليه حقّه إن شاء اللّه، والقويُ فيكم ضعيفٌ حتى آخذَ الحقّ منه إن شاء اللّه، لا يدعُ قومٌ الجهادَ في سبيل اللّه إلّا ضربَهم اللّه بالذلّ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قوم قط إلّا عمّهم اللّه بالبلاء، أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله، فإذا عصيتُ اللّه ورسولَه فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم اللّه»[١].

وهذه الكلمة مجمل الطريقة التي اتبعها في خلافته: أخبرهم بواجب عليهم وهو إعانته، وحقّ لهم وهو تقويمه إذا زاغ عن الحقّ، وفيه ضمان لحريّتهم في القول. أعطاهم عهداً أن يعدل فيهم، فلا تمنعه قوة الظالم أن ينصف منه المظلوم، ولا يمنعه ضعف المظلوم أن ينصفه من ظالمِه. حثّهم على الجهاد الذي كان لا بدّ منه، أخبرهم أنّه خليفة لينفّذ الشريعة فإذا عدل عنها فلا طاعة له عليهم. سنّ للخلفاء وحكّام العالم سنّة الديمقراطية، والمساواة، والثبات على الحقّ.

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٦٥.

هنا لا بدّ لنا من السؤال: هل في حكّام الدنيا، قديمها وحديثها مَنْ بلغ في عدله، وتساميه، وقوّة نفسه، وفيما نسميه اليوم ديمقراطية، ويسمّيه الإسلام شورى، بلغ مبلغ خليفة المسلمين الأول؟

ومَنْ مِنْ حكّام الأرض يصل برجولته، وعظمته أنْ يخاطب الناس وهو سيّدهم بإرادتِهم لا بإرادته وأن يقول لهم: «لستُ بخيرِكم»، «فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني»، «أطيعوني ما أطعت اللَّه ورسوله، فإذا عصيتُ اللَّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وأشار عليه عمر بن الخطاب أن يعزل خالد بن الوليد بعد أن قتل مالك ابن نويرة[١] الملقّب بذي الخمار، وتزوّج امرأته وهو في ميدان القتال، وهو أمر كانت تكرهه العرب قبل الإسلام وفي الإسلام، ولكن أبا بكر لم يعزل خالداً، وأعلن أنّه لا يغمد سيفاً سلّه رسول اللَّه على أعداء الدين[٢].

وسار أبو بكر في خلافته خير سيرة، جاعلاً الأسس التي وضعها الرسول ﷺ للمجتمع الإسلامي نبراساً يهتدي به، ويسير على ضوئه. كان بلا نزاع قدوة حسنة للمسلمين، وكان عادلاً عطوفاً على غير المسلمين ما سالموا، وكانت أعماله لتحقيق العدالة الاجتماعية قويّة ناجحة، وكان لا يقطع بأمر من غير شورى، إلّا أن يكون القرآن الكريم أو الحديث الصحيح صريحي الدلالة على هذا الأمر، وحينئذ فاتباعٌ للدستور الإسلامي

(١) هو مالك بن نُوَيْرَة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة. فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له «فارس ذي الخمار» وذو الخمار فرسه. أدرك الإسلام وأسلم وولاّه رسول اللَّه ﷺ صدقات قومه (بني يربوع) ولمّا صارتْ الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرّقها. وقيل: ارتدّ، فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار بن الأزور الأسدي، فقتله سنة (١٢هـ ـ ٦٣٤م). الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص: ٢٦٧.

(٢) شلق، **أبو بكر الصدّيق**، ص: ٥٨.

الخالد، وكان الناس عنده سواسية لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلّا بالتقوى، وكانت روح الإسلام توجّه تفكيره وتقرر اتجاهاته[١].

وكان أول عدله رضي اللّه عنه نفي الأهواء والشهوات عن ذاته وإنصاف الناس من نفسه، حتى أنّه كان يتحرّج أنْ يخص نفسه بشيء من أموال المسلمين، وقد آثر في بدء خلافته أن يكسب قوته وقوت عياله من تجارته، وليس من بيت مال المسلمين، ثم قبل بناء على طلب المسلمين بالتّخلي عن تجارته والانصراف لأعباء الخلافة وحدها لقاء راتب بسيط جداً تَمّ فرضه عن طريق الشورى العامة. ففرضوا له راتباً ليتفرّغ لأعمال المسلمين وتصريف شؤونِهم بما يشغله عن الكسب الخاص، فرضوا له ما يكفيه ويكفي عياله، واستمرّ الأمر كذلك في عهد عمر ومن بعده. وسار هذا الأمر في العهد الراشدي على معظم الولاة والعمّال والقضاة.

وقد ذكر السيوطي عن عطاء بن السائب قال: لَمّا بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبرادٌ وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر: أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا وقد وُلِّيتَ أمرَ المسلمين؟ قال: فمن أين أُطعِمُ عيالي؟ فقال عمر: انطلق يفرضْ لك أبو عبيدة، فانطلقا إلى أبي عبيدة، فقال: أفرضُ لك قوتَ رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكَسِهم، وكسوة الشتاءِ والصيف، إذا أَخْلَقْت[٢] شيئاً رددتَه وأخذْتَ غيره، فَفَرضا له كلَّ يومٍ نصفَ شاةٍ وما كساهُ في الرأس والبطن[٣].

ولقد بلغ أبو بكر من هذا التنَزّه حدّاً يحسبه أهل جيلنا ممعناً في

---

(١) شلبي، **المجتمع الإسلامي**، ص:١١٩.

(٢) خَلُقَ الثوب: بَلِيَ، وثوب خَلَقٌ: بالٍ. ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٠، ص:٨٩.

(٣) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص:٧٢ ـ المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج٥، ص:٦٠٣.

المبالغة. لم تغيّر الخلافة ولا غيّرت الإمارة من حياته، ولم تنتقل به من دار إلى دار غيرها.

وقد نسي منذ تولّى أمور المسلمين نفسه ونسي أهله وأبناءه، وتجرّد للّه تجرّداً مطلقاً، وأوجب على نفسه أن يشعر بضعف الضعيف وحاجة المحتاج، تحقيقاً لمعنى الإخاء في أسمى صوره، وإيذاناً بأنه ليس له في الحياة هوى، وأنّه يقدِر لذلك على أن يقيم بين الناس عدلاً منزّهاً لا يعرف محاباة، وإنّما يعرف حدود اللّه في أن يعيش الناس جميعاً في ظلّ عدله، جلّ شأنه، آمنين مطمئنين[١].

ومن الأمثلة على إنصافه أحد رعيّته من نفسه:

عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص: أنَّ أبا بكر الصدّيقَ ـ رضي اللّه عنه ـ قام يوم جمعةٍ، فقال: إذا كان بالغداةِ، فأحضروا صدقات الإبلِ نقسمُ، ولا يدخُل علينا أحدٌ إلّا بإذنٍ. فقالتِ امرأةٌ لزوجها: خذْ هذا الخِطام[٢]، لعلَّ اللّه يرزقُنا جَملاً. فأتى الرجلُ، فوجدَ أبا بكرٍ وعمرَ ـ رضي اللّه عنهما ـ قد دخلا إلى الإبل، فدخل معهما، فالتفتَ أبو بكر، فقال: ما أدْخلك علينا؟ ثم أخذَ الخِطامَ، فضربه. فلَمّا فرغَ أبو بكر من قَسْمِ الإبل، دعا بالرجل، فأعطاه الخِطامَ، وقال: استقِد. فقال له عمر: واللّه، لا يستقيدُ، لا تجعلْها سُنَّة. قال أبو بكر: فمن لي من اللّه يوم القيامة؟ فقال عمر: أرضه. فأمر أبو بكر غلامَه أن يأتيه براحلةٍ ورَحْلِها وقَطيفة[٣] وخمسةِ دنانير فأرضاه بِها[٤].

---

(١) محمد حسين هيكل، **أبو بكر الصدّيق**، ص: ٣٣٥.

(٢) خِطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص: ١٨٦.

(٣) القَطيفة: دِثار مُخْمل، وقيل: كساء له خَمْل، والجمع القَطائفُ. ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٩، ص: ٢٨٦.

(٤) المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج٥، ص: ٥٩٥، ٥٩٦.

كذلك كان من الطبيعي أن ينصف الناس من بعضهم ومن الحكم طالَما أنّه كان لا يتورّع مِنْ أنْ ينصفهم من نفسه، وأنّ خير وصف لسياسته العادلة ما ذهب إليه الدكتور طه حسين حين قال: «وكذلك بلغ حرص النبي وأبي بكر على العدل أن يتأثّما مِمّا لا إثْمَ فيه، وأنْ يتحرّجا مِمّا لا تتحرّج منه ضمائر الأتقياء، ولو طالتْ خلافة أبي بكر لرأينا منه في ذلك الأعاجيب»[١].

ولا حاجة إلى القول بأنّ مثال أبي بكر كان أسوة عُمَّاله في سائر بلاد شبه الجزيرة، وإنّ طمأنينة العرب إلى عدل الخليفة وإنصافه، وإلى بِرّه ورحمته، وإلى حِكمته وحُسن سياسته، كانت من العوامل ذات الخطر في نجاح سياسته، كما كانت من أهمّ العوامل التي ضمنت أن ينعم المجتمع الإسلامي في هذه الفترة بكل عناصر السعادة والتوفيق[٢].

وكان أبو بكر رضي اللّه عنه موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة[٣]. كان شديد البرِّ والعطف على الفقراء والمعوزين، وكان يتولّى بنفسه رعايتهم، فإن ضاق بذلك مال بيت المال اتّسع له ماله الخاص، وكان حريصاً على أن يقدّم للمساكين ما يحتاجون إليه دون أن يعلم بذلك أحد[٤].

قال النووي في تَهذيبه: عن خُبيب عن عبد الرحمن عن عمته أنيسة قالت: نزل فينا أبو بكر سَنَتين قبل أن يستخلف وسنة بعد استخلافه، فكان جَوَاري الحي تأتينه بغَنَمِهنَّ فيحلبهن لهنّ[٥].

---

(١) صمد، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص:١٤٤.
(٢) شلبي، المجتمع الإسلامي، ص:١٢٦، ١٢٧.
(٣) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص:١٠٢.
(٤) أحمد شلبي، المجتمع الإسلامي، ص:١٢٦.
(٥) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص:١٩٠.

عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب «كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لَها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يُسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها ـ وهو يومئذ خليفة ـ فقال عمر: أنت هو لَعَمْري»[١].

وكان أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه يقيم المعروف وينهى عن المنكر، ومن أعظم المنكرات الردّة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، فشمر أبو بكر ساعده لإزالتها، وحقق اللّه له ذلك[٢].

٣ ـ وصاياه للعمّال وخُطَبه:

ضرب أبو بكر رضي اللّه عنه مثلاً عالياً للحكّام، يحثّهم على أنْ يقف كل منهم وقفة من حين إلى آخر يحاسب نفسه، ويفكّر فيما قدَّم من خير وفيما وقع فيه من أخطاء، فمثل ذلك الحساب جدير أن يقود إلى طريق الخير والرشاد.

روى عبد الرحمن بن عوف أنّ أبا بكر رضي اللّه عنه بعد أن كتب وثيقة تعيين عمر قال: «إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ...»[٣].

والذي يقرأ هذه القصّة يدرك بساطة الأخطاء التي يعتقد أبو بكر رضي اللّه عنه أنّه ارتكبها وتمَنّى لو لم يفعلها، ولكن الأهم من ذلك أنّ القارئ يدرك أنّ أبا بكر لم يكن يغفر لنفسه الهفوات، وكان يجمع زلاتَها

(١) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص: ٧٤.

(٢) الزحيلي، **تاريخ القضاء في الإسلام**، ص: ٩٥.

(٣) شلبي، **المجتمع الإسلامي**، ص: ١٢٦.

ويخضعها لحساب مرير.

لم يصدر عن أبي بكر رضي اللّه عنه كتب خاصّة في تنظيم القضاء، وإنّما ورد التوجيه لذلك في أحاديثه، وخطبه، وأوامره، التي أصدرها.

أوصى أبو بكر رضي اللّه عنه عمّاله بالعدل والابتعاد عن الظلم، مشجّعاً في الوقت نفسه المحسن منهم، ومحذّراً المسيء فيهم، فكان مِمّا قاله ليزيد بن أبي سفيان على سبيل المِثال: «واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور، فإنّه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوّهم»، وقال في مناسبة أخرى: «إنّي ولّيتك لأبلوك وأجرّبك وأخرجك، فإن أحسنت رددتُكَ إلى عملِكَ وزدتكَ، وإنْ أسأت عزلتك، فعليك بتقوى اللّه، فإنّه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك»[١].

وكذلك خطبته عند استخلافه عمر رضي اللّه عنهما وفيها بيان حرصه على العدل، وأهمّيته، وطلب إقامته، وأنّه الهدف والغاية، وقال فيها: «فإن عدلَ فذلك ظنّي به، وعِلمي فيه، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخيرَ أردت، ولا أعلمُ الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيُّ منقلبٍ ينقلبون »، ولَمّا خوّفه بعض الصحابة من شدّة عمر المعروفة، قال أبو بكر: «أباللّه تخوّفوني؟ خاب من تَزَوَّدَ من أمركم بظُلم، أقول للّه تعالى عند الحساب والسؤال: اللهم إنّي استخلفتُ عليهم خير أهلك»[٢].

وقال أبو بكر في وصيته لعمر رضي اللّه عنهما:

«إنّي مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى اللّه، إنّ للّه عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنّه لا تقبل نافلة حتى تؤدّى

(١) الصمد، **نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين**، ص:١٣٦، ١٣٧.

(٢) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص:١٩٩، ٢٠٠.

الفريضة، فإنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ في الدنيا وثقله عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلّا الحقّ أن يكون ثقيلاً، وإنّما خفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفّته عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلّا الباطل أنْ يكون خفيفاً، إنّ اللّه عزّ وجلّ ذكر أهل الجنّة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتِهم، فإذا ذكرتَهم قلت: إنّي أخاف ألّا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتِهم، فإذا ذكرتَهم قلت: إنّي لأرجو ألا أكون من هؤلاء. وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً. ولا يتمنى على اللّه غير الحقّ ولا يلقي بيده إلى التهلكة.

فإن حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحبّ إليك من الموت وهو آتيك. وإذا ضيّعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز اللّه.

يا عمر! أبغضك مبغض وأحبّك محبّ، وقدماً يبغض الخير ويحبّ الشر».

فقال عمر: لا حاجة لي فيها (يعني الإمارة) فقال له: «ولكنّ لَها بكَ حاجة يا ابن الخطاب، إنّي إنّما أستخلفك نظراً لِما خلفت ورائي. قد رأيت رسول اللّه ﷺ وصحبته ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنّا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتني وصحبتي، وإنّما اتبعت أثر من كان قبلي، واللّه ما نمت فحلمت، ولا توهّمت فسهوت، وإنّي لعلى السبيل ما زغت. إنّ أول ما أحذّرك يا عمر نفسك، وإنّ لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول اللّه فإنّهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أجوافهم وأحبّ كل امرئ منهم نفسه، وإنّ لهم لحيرة عند زلّة واحد منهم، فإيّاك أن تكونه فإنّهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقين منك ما زلت خائفاً من اللّه وفَرِقْتَه، ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك. وهذه وصيّتي وأقرأ

السلام عليك»[١].

ومن خطبــه:

عن سَلْمان قال: أتيت أبا بكر فقلتُ: اعهد إليّ، فقال: «يا سلمان، اتقّ اللّه، واعلم أنّه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنِك أو ألقيته على ظهرك، واعلم أنّه من صلى الصلوات الخمس فإنّه يصبح في ذمّة اللّه ويمسي في ذمّة اللّه تعالى، فلا تقتلنّ أحداً من أهل ذمّة اللّه فتَخْفِر[٢] اللّه في ذمّته فيَكُبّك اللّه في النار على وجهك»[٣].

كان أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه يتابع أعمال الولاة في الأمصار، والقادة والحروب والقتال والفتوح، ويحرص على معرفة أحوالهم في الرعيّة، كما كان يتفقّد أحوال عامّة المسلمين.

٤ ـ علمــه:

كان أبو بكر رضي اللّه عنه أقرأ الصحابة وأعلمهم، وكان من أفصح الناس وأخطبهم، وأعلمهم بأنساب العرب.

قال النووي في تَهذيبه: استدلّ أصحابنا على عظم علمه بقوله رضي اللّه عنه في الحديث الثابت في الصحيحين أنه قال: واللّه لأقتلنَّ مَنْ فَرَّق بين الصلاة والزكاة، واللّه لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم على منعه. واستدلّ الشيخ أبو إسحاق بِهذا وغيره في طبقاته على أنّ أبا بكر الصدّيق رضي اللّه عنه أعلم الصحابة، لأنّهم كلهم وَقفوا

---

(١) الطنطاوي، **أبو بكر الصدّيق**، ص:٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) أخْفَرَه: نقض عهده وخاسَ به وغدَرَه. وأخْفَرَ الذمّة: لم يَفِ بِها. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص:٢٥٣.

(٣) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص:٩٣، ٩٤.

عن فهم الحكم في المسألة إلَّا هو، ثم ظهر لهم بِمباحثته لهم أنّ قوله هو الصواب فرجعوا إليه.

وقال النووي: وروينا عن ابن عمر أنه سُئل: مَن كان يفتي الناسَ في زمن رسول اللَّه ﷺ فقال: أبو بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، ما أعلم غيرهما[١].

وقال ابن كثير: كان الصدّيق رضي اللَّه عنه أقرأ الصحابة ـ أي أعلمهم بالقرآن ـ[٢].

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي اللَّه عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا ينبغي لقومٍ فيهِم أبو بكرٍ أنْ يَؤُمَّهُم غيرُهُ»[٣].

وكان الصدّيق رضي اللَّه عنه مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب، لا سيّما قريش[٤].

كان جُبير بن مطعم[٥] من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول: إنّما أخذت النسب عن أبي بكر الصدّيق، وكان أبو بكر الصدّيق من

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص١٩٠.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٤٢.

(٣) سنن الترمذي، أبواب: المناقب، مناقب أبي بكر الصدّيق، ج٥، ص: ٢٧٦، حديث رقم (٣٧٥٥).

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٤٣.

(٥) هو جُبَيْر بن مُطْعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عديّ. صحابي، أسلم جُبير بين الحديبية والفتح. كان من علماء قريش وساداتِهم. وعدّه الجاحظ من كبار النسّابين. كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة. له ٦٠ حديثاً. توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ، ٦٧٩م. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص: ١١٢ ـ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص: ٥٧١.

أنسب العرب[١]، وكانت العرب تلقّبه بعالم قريش[٢].

وقال ابن إسحاق في السيرة الكبرى: كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنْسَب قريش لقريش، وأعلمهم مِمَّا كان منها مِن خير أو شر، وكان تاجراً ذا خُلق ومعروف، وكانوا يألَفونَه لعلمه وتجاربه وحُسْنِ مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثق به، فأسلم على يديه عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عَوْف[٣].

وكان الصدّيق مع ذلك غاية في علم تعبير الرؤيا، وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي ﷺ، وقد قال محمد بن سيرين ـ وهو المقدم في هذا العلم بالاتفاق ـ: كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ.

قال ابن كثير: وكان من أفصح الناس وأخطبهم. قال الزبير بن بكار: سمعت بعض أهل العلم يقول: أفصح خطباء أصحاب رسول اللّه ﷺ: أبو بكر الصدّيق، وعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما[٤].

٥ ـ استشارة أبو بكر رضي اللّه عنه الصحابة:

لمّا ولي أبو بكر وانقطع الوحي الربّاني أخذ خليفة النبيّ ﷺ يستوحي القرآن والسُّنة النبوية ويسترشد بِهَدْيِهما في حلّ القضايا التي تلاقيها خلافة المسلمين، فهو لا يقطع بأمر إلَّا ويستفتي فيه كتاب اللّه وقلبه وكبار أصحاب رسول اللّه ﷺ، وقد سار بسياسة الشورى لإقرار الإسلام إيّاها ولموافقتها لروح العرب المحبّة للديمقراطية الكارهة للاستبداد، النافرة من الديكتاتورية،

(١) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٤٣ ـ ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج١، ص: ٥٧١.
(٢) الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص: ١٠٢.
(٣) ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص١٤٧.
(٤) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص: ٤٣.

ولكنه كان مع حبّه للديمقراطية والشورى كان يفكّر فيما يُشار عليه به ويناقشه، فإذا رآه صواباً سار بِمقتضاه، وإذا رآه معوجاً تحاشاه[١].

وفي الواقع، كان أبو بكر يستشير الثلاثة الراشدين، كما فعل في ميراث الجدّة.

قال الماوردي: «وشاور أبو بكر الصحابة في الجدّة أمّ الأمّ، وشاور عمر في الجدّة أمّ الأب حتى فرضا لكل واحدة منهما السُّدُس»[٢].

وكان أبو بكر لا يقطع أمراً دون استشارة كبار الصحابة وبخاصة عمر وأبي عبيدة، كان أبو بكر مشبعاً بروح الإسلام الديمقراطية الشورية، فكان لا يقطع بأمر دون أخذ آراء أصحاب رسول اللّه ﷺ وبخاصة عمر وأبو عبيدة، أو غيرهما من جلّة المسلمين الأوّلين، أمثال علي وعثمان وعبد الرحمن وابن عباس وخالد وغيرهم[٣].

عن القاسم أنّ أبا بكر الصدّيق رضي اللّه عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه، دَعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، ودعا عمرَ، وعثمان، وعليّاً، وعبد الرحمن ابن عوفٍ، ومعاذَ بن جبلٍ، وأبيّ ابن كعبٍ، وزيد بن ثابتٍ ـ رضي اللّه عنهم ـ؛ وكل هؤلاء كان يُفتي في خلافة أبي بكر، وإنّما تصيرُ فتوى الناس إلى هؤلاء.

فمضى أبو بكر على ذلك، ثم وُلّي عمر، فكان يدعو هؤلاء النفرَ، وكانتِ الفَتْوى تصير وهو خليفةٌ إلى عثمانَ وأبيّ وزيدٍ[٤].

---

(١) طلس، الخلفاء الراشدون، ص: ٧١.

(٢) الماوردي، أدب القاضي، ج١، ص: ٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) طلس، الخلفاء الراشدون، ص: ٧٢.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمّال، ج٥، ص: ٦٢٧.

اشتهر عمر بعدله بين الناس، وعرف أبو بكر بتفانيه في إقامة العدل فكان دائماً يستشيره في كثير من القضايا.

ومن الأمثلة في مشاورة أبي بكر أهل الرأي في عهده نذكر ما وقع بينه وبين عمر في إقطاع أرض لبعض الصحابة:

جاء عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي اللّه عنهم، فقال: يا خليفة رسول اللّه! إنّ عندنا أرضاً سبْخة[1] ليس فيها كلأ، ولا منفعة؛ فإذا رأيت أن تُقْطِعناها لعلّنا نحرثها، ونزرعها؛ فأقطعها إياهما وكتب لهما عليه كتاباً وأشهد فيه عمر رضي اللّه عنه ـ وليس في القوم ـ، فانطلقا إلى عمر ليُشهداه. فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه ومحاه، فتذمّرا وقالا مقالة سيئة. قال عمر: إنّ رسول اللّه ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإنّ اللّه قد أعزّ الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا رعى اللّه عليكما إن رَعَيتما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران، فقالا: واللّه ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو ولو شاء كان. فجاء عمر مُغْضَباً حتى وقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين الرجلين، أرض هي لك خاصة، أم هي بين المسلمين عامّة؟ قال: بل هي بين المسلمين عامّة. قال: فما حملك أن تخصّ هذَيْن بِها دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرتُ هؤلاء الذين حولي، فأشاروا عليّ بذلك. قال: فإذا استشرتَ هؤلاء الذين حولك أَوَكلّ المسلمين أَوْسَعْتَ مشورة ورضىً؟ فقال أبو بكر: قد كنتُ قلتُ لك: إنّك أقوى على هذا مِنّي ولكنّك غلبتني[2].

(١) سَبَخَة: وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تُنْبِتُ إلّا بعضَ الشجر. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص:٢٤.

(٢) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٢، ص:١٥٥، ١٥٦.

وهكذا سار أبو بكر بأمور المسلمين سياسة مطابقة لروح الشرع في أمور الدين، ولم يخالف روح الشرع في أمور الدنيا.

٦ ـ اقضيتـه:

صدرت عدّة أقضية في عهد أبي بكر رضي اللّه عنه، بعضها رفعت إليه في المدينة المنورة، ومكة أو من بقية الأمصار، ونظر فيها، وقضى بِها، وفصل النزاع، وبيّن الحكم الشرعي، وبعضها من القضاة والولاة في عهده، ونذكر نماذج منها:

١ ـ قضاؤه بين رسول اللّه ﷺ وبين عائشة:

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان بيني وبين رسول اللّه ﷺ كلام. فقال: «**من ترضين أن يكون بيني وبينكِ؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح؟**» قلت: لا، ذلك رجل هيّن ليّن يقضي لك. قال: «**أترضين بأبيك؟**» قلت: نعم، فأرسل إلى أبي بكر فجاء فقال: اقصصي، فقالت: بل اقصص أنت، فقال: «**هي كذا وكذا**»، فقلت: اقصد، (والقصد الاستقامة والصدق) فرفع أبو بكر يده فلطمني وقال: تقولين يا بنت فلانة اقصد؟ من يقصد إذا لم يقصد رسول اللّه؟ فجعل الدم يسيل من أنفها، فقال رسول اللّه ﷺ: «**إنّا لَمْ نرد هذا**»، وجعل يغسل الدم بيده من ثيابِها ويقول: «**رأيتِ كيف أبعدكِ اللّه منه**»[1].

٢ ـ قضاؤه في جريمة الزنا:

عن نافِعٍ قال: جاء رجلٌ إلى أبي بكر فذكرَ له أنّ ضيفاً له افتضَّ أُخته، استكرهها على نفسها فسأله فاعترف بذلك، فضربه أبو بكر الحدَّ ونفاهُ

(١) الطنطاوي، أبو بكر الصدّيق، ص: ٢٠٢، ٢٠٣.

سنةً إلى فدَك[١]، ولم يضربْها ولم ينفها لأنه اسْتكرَهها، ثم زوَّجها إيّاه أبو بكر وأدخله عليها[٢].

عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة، قال: سُئل أبو بكرٍ الصدّيق عن رجلٍ زنى بامرأةٍ، ثم يريدُ أن يتزوَّجها؟ فقال: ما من توبةٍ أفضلُ من أن يتزوَّجها، خرجا من سِفاحٍ إلى نكاح[٣].

٣ ـ قضاؤه في جريمة السرقة:

عن صفيَّةَ بنتِ أبي عبيدٍ، أنَّ رجلاً سرقَ على عهدِ أبي بكرٍ مقطوعةً يدُه ورجله، فأراد أبو بكرٍ أن يقطعَ رجله ويدَع يدَه يستطيب بِها ويتطهر بِها وينتفع بِها، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لتقطعنَّ يده الأخرى. فأمر أبو بكر فقُطعت يده[٤].

عن الحارث بن حاطِبٍ قال: سرق رجلٌ على عهد رسول اللَّه ﷺ، فأتي به النبي ﷺ، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول اللَّه، إنّما سرق، فقال: اقطعوه، ثم سرق على عهد أبي بكر، فقطعه، ثم سرق أيضاً، فقطع أربعَ مرات، حتى قطع قوائمهُ كلها، ثم سرق الخامسة، فقال أبو بكر: كان رسول اللَّه ﷺ أعلم بِهذا حين أمر بقتلِه، اذهبوا به فاقتلوه، فقتلناه[٥].

وأخرج مالك عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه: أنّ رجلاً من أهل

---

(١) فدَكُ: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها اللَّه على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص:٢٣٨.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص:٤١٠.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص:٤١٠.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص:٥٤٤.

(٥) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص:٥٥٥.

اليمنِ أقْطَعَ اليدِ والرِّجْلِ، قَدِمَ فنزلَ على أبي بكرٍ الصدّيق، فشكا إليه أنَّ عاملَ اليمنِ ظلمَهُ، فكان يُصلّي من الليلِ، فيقول أبو بكر: وأبيكَ ما لَيْلُكَ بليلِ سارقٍ، ثم إنّهم فقدوا عِقْداً لأسماءَ بنتِ عُمَيْس امرأةِ أبي بكر الصدّيق، فجعلَ الرجلُ يطوفُ معهم ويقول: اللهم عليك بِمَن بَيَّتَ أهلَ هذا البيتِ الصالِحِ، فوجدوا الحُلِيَّ عند صائِغٍ زعمَ أنَّ الأقْطَعَ جاءهُ به، فاعترفَ الأقطعُ ـ أو شُهِدَ عليه به ـ فأمرَ به أبو بكرٍ الصدّيقُ، فقُطِعتْ يدهُ اليُسرى، وقال أبو بكرٍ: واللَّهِ لدُعاؤه على نفسِهِ أشدُّ عندي عليه من سَرِقَتِهِ[١].

٤ ـ قضاؤه في ميراث الجدّة:

أخرج مالك عن قبيصَة بن ذُؤَيْبٍ، أنّه قال: جاءتِ الجدَّةُ إلى أبي بكر الصدّيق تسألُه ميراثَها، فقال لها أبو بكر: ما لَكِ في كتاب اللَّه شيء، وما عَلِمْتُ لك في سُنّةِ رسول اللَّه ﷺ شيئاً، فارْجِعي حتى أسألَ الناسَ، فسألَ الناسَ، فقال المُغيرةُ بن شُعْبَةَ: حضرتُ رسولَ اللَّه ﷺ أعطاها السُّدُسَ، فقال أبو بكر: هل معكَ غيرُك؟ فقام محمدُ بن مَسْلَمَةَ الأنصاريُّ، فقالَ مثلَ ما قالَ المُغيرةُ، فأنْفَذَه لَها أبو بكرٍ الصدّيق[٢].

وأخرج مالك عن القاسِمِ بن محمدٍ، أنّه قال: أتت الجدّتَانِ إلى أبي بكرٍ الصدّيق، فأراد أنْ يجعلَ السُّدُسَ للتي من قِبَلِ الأمِّ، فقال له رجلٌ من الأنصار[٣]: أما إنّك تتْرُكُ التي لو ماتَتْ وهو حيٌّ كان إيّاها يَرِثُ، فجعل أبو بكر السُّدُسَ بينهما[٤].

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب: الحدود، ص: ٦٠١، حديث رقم (١٥٢٤).

(٢) موطأ مالك، كتاب: الفرائض، ص: ٣٤٦، حديث رقم (١٠٨٧).

(٣) هو عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، وكان ممّن شهد بدراً، وهو أخو بني حارثة. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٩١.

(٤) موطأ الإمام مالك، كتاب: الفرائض، ص: ٣٤٦، حديث رقم (١٠٨٨).

٥ ـ قضاؤه في رجل انتفى من أبيه:

أتي أبو بكر برجل انتفى من أبيه، فقال أبو بكر: اضْرِبِ الرأس؛ فإنّ الشيطان في الرأس[١].

٦ ـ ذكر حكمه في الحاضنة وفي مستحقّها:

ذكر الخصّاف: (عن عامر رضي اللّه عنه قال: قضى أبو بكر رضي اللّه عنه بعاصم بن عمر لأمّه وقضى على أبيه بالنفقة).

وقصّة الحديث أنّ عاصماً كان ابن عمر رضي اللّه عنه من امرأة فارقها، فاختصما، فأراد عمر أن يكون الولد عنده، وأرادت الأمّ أن يكون عندها، فاختصما فقضى أبو بكر به لأمّه، وقضى على أبيه بالنفقة، وهذا لأن كونه في حجر الأمّ أنفع له لأنّ حاجته إلى التربية والحضانة في هذه الحالة، والأمّ أقدر على هذا، لكن نفقته على الأب لأنّ الأم عاجزة عن الاكتساب، وذكر في بعض الروايات أنّ أمّ عاصم تزوّجت فقال عمر رضي اللّه عنه: ابني، أنا أحقّ به، وقالت جدّته أمّ الأمّ: ابني، أنا أحقّ به، فاختصما إلى أبي بكر رضي اللّه عنه، فقضى به للجدّة، وقضى على عمر رضي اللّه عنه بالنفقة[٢].

٧ ـ قضاؤه في رجل عضَّ يد رجل فوقعت ثَنِيَّته وفي الأذن المقطوعة:

عن أبي مليكة عن جدّه: أنّ رجلاً عضَّ يَدَ رجل فأندَرَ ثَنِيَّتَه فأهْدَرَها أبو بكر رضي اللّه عنه[٣].

وأخرج ابن أبي شَيْبَة والبيهقي عن عكرمة: أنّ أبا بكر رضي اللّه عنه

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٨٩.

(٢) الخصّاف، شرح أدب القاضي، ص: ٥٨٤.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: ٨٩.

قضى في الأذُنِ بِخَمْسَ عشرةَ من الإبل، وقال: يُوارِي شَيْنَها الشَّعرُ والعمامةُ[١].

٨ ـ أبو بكر يحرق اللوطيّة:

حرق أبو بكر اللوطيّة، وأذاقهم حرّ النار في الدنيا قبل الآخرة.

فإنّ خالد بن الوليد رضي اللّه عنه كتب إلى أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه: «أنّه وُجد في بعض نواحي العرب رجل يُنكَح كما تُنكحُ المرأة» فاستشار الصدّيق أصحاب رسول اللّه ﷺ وفيهم عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه، وكان أشدَّهم قولاً. فقال: «إنّ هذا الذنب لم تَعْصِ به أمّةٌ من الأمم إلّا واحدةٌ، فصنع اللّه بِهم ما قد علمتم. أرى أن يُحرقوا بالنار». فكتب أبو بكر إلى خالد «أن يُحرق» فحرقه. ثم حرقهم عبد اللّه بن الزبير في خلافته. ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[٢].

٩ ـ حكمه في مغنيتان غنّت إحداهما بشتم النبيّ ﷺ والأخرى بهجاء المسلمين:

إنّ المهاجر بن أبي أميّة ـ وكان أميراً على اليمامة[٣] ـ رُفِع إليه امرأتان مُغنِّيتان غَنَّتْ إحداهما بشتم النبي ﷺ، فقطع يدها، ونزع ثَنِيَّتها، وغَنَّتِ

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص:٨٩.

(٢) ابن قيّم الجوزيّة، الطرق الحكميّة في السياسة الشرعية، ص:١٢، ١٣، المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص:٤٦٩.

(٣) اليمامة: وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصدّيق، رضي اللّه عنه، سنة ١٢ للهجرة وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر. وكان اسمها قديماً جوّا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طَسم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص:٤٤٢.

الأخرى بِهجاءِ المسلمين، فقطع يدَها، ونزع ثنِيَّتها؛ فكتب إليه أبو بكر: بلغني الذي فعلْتَ في المرأة التي تغَنَّتْ بشتم النبي ﷺ، فلولا ما سبقتني فيها لأمرتك بقتلها، لأنّ حَدَّ الأنبياء ليس يشبهُ الحدودَ؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتدٌّ، أو معاهدٌ فهو محاربٌ غادرٌ، وأمّا التي تغنّت بِهجاء المسلمين: فإن كانت مِمّن يدّعي الإسلامَ، فأدبٌ وتعزيرٌ دونَ المثلة، وإنْ كانت ذمّيّةً فلعمري لما صفحتَ عنه من الشرك أعظم، ولو كنتُ تقدمتُ إليكَ في مثل هذا لبلغتُ مكروهاً، فاقبل الدَّعَة، وإيّاك والمُثْلَة في الناس، فإنّها مأثَمٌ ومُنفِّرةٌ إلَّا في قصاص[1].

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص:٨٩، ٩٠، المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص٥٦٨، ٥٦٩.